الخبر وأغراضه المجازية في سورة يونس

- دراسة بلاغية -

م. م. وسن زينو حمد
كلية الآداب - قسم اللغة العربية
جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

- يعد القرآن الكريم المعين الثر الذي لا ينضب أبداً، نهل منه العلماء القدامى والمحدثون من أهل التفسير والبلاغة في دراساتهم وأبحاثهم، فأخذوا بتفسير القرآن الكريم وتحليله وبيان الجوانب الاعجازية والبلاغية فيه، فذا جاء هذا البحث في الدراسات البلاغية القرآنية من خلال تناول (الخبر في سورة يونس) لتعدد أنماطه وتعبيراته في هذه السورة .
- قام البحث على مدخل وثلاث مباحث تضمن المدخل تحديد مفهوم الخبر في اللغة والاصطلاح والحديث عن السورة من حيث أسباب نزولها وموضوعاتها وخصص المبحث الأول بدراسة (الخبر الابتدائي) في حين تضمن المبحث الثاني دراسة (الخبر الطلبي) أما المبحث الثالث فتناول دراسة (الخبر الإنكاري) .
- اعتمد البحث على دراسة بلاغية تحليلية للخبر في سورة يونس مع توضيح الدلالات الفكرية والجمالية بغية تحقيق الرواية الشمولية في الكشف عن أسرار التعبير الخبري وأغراضه المجازية التي خرج إليها .

مدخل مفهوم الخبر لغةً واصطلاحاً:

الخبر لغةً: واحد الأخبار، والخبر ما أتلك من نبأٍ عمن يستخبر، والخبر: النبأ وأخبره وخبّره: نبأه . وخَبُرْتُ بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أخبُرُهُ إذا عرفته على حقيقته(١) .

الخبر اصطلاحاً:

وهو ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم(٢) .

وعرّفه الرازي بقوله "إنه القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي أو بالإثبات. ومن حدّه بأنه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر لزمه الدور"(٣) .

فهو ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، فإن كان مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وان كان غير مطابق كان قائله كاذباً(٤) .

بين يدي السورة:

سميت سورة يونس في المصادق وفي كتب التفسير بهذا الاسم لأنها انفردت بذكر خصوصية لقوم يونس، إنهم آمنوا بعد أنَّ توعدهم رسولهم بنزول العذاب وعفا الله ﷺ عنهم لما آمنوا، في وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ وتلك السورة كرامة ليونس عليه السلام وليس في السورة ذكر ليونس غير ذلك(٥) .

وهي من السور المكية التي تعني بأصول العقيدة الاسلامية "الايمان بالله تعالى والايمان بالملائكة والكتب والرسل والبعث والجزاء" وهي تتميز بطابع التوجيه الى الايمان بالرسالات السماوية، ولاسيما (القرآن الكريم) خاتم الكتب المنزلة، والمعجزة الخالدة على مر العصور(٦) .

فقد تناولت السورة الخبر بأنواعه الثلاثة وبأغراضه المجازية التي جاءت أغلبها إنكاراً وتوبيخاً للمشركين على موقفهم من الرسالة والقرآن الكريم، فبينت السورة ان هذه سنة الأولين والآخرين فما من أمةٍ إلا بعث الله ﷻ إليها رسولاً فلمَ العجب في بعثة خاتم الأنباء والمرسلين .

وبعد ذلك انتقلت السورة لتعريف الناس بصفات الإله الحق بذكر آثار قدرته ورحمته، الدالة على التدبير الحكيم، وما في هذا الكون المنظور من آثار القدرة الباهرة، وهذه هي القضية الكبرى التي يدور محور السورة عليها، وهي موضوع الإيمان بوحدانية الله ﷻ .

وجاءت السورة أيضاً إخباراً عن قصص الأنبياء فذكرت قصة نوح عليه السلام مع قومه، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون، وذكرت قصة نبي الله يونس عليه السلام وكل هذه القصص لبيان سنة الله ﷻ الكونية في إهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين .

المبحث الأول: الخبر الابتدائي

ويكون المخاطب في هذا الضرب خالي الذهن من الحكم الذي يلقيه إليه المتكلم، ولا علم له به، وليس له موقف مسبق منه(٧) .

فهذا الخبر لا يحتاج الى مؤكدات، لأنَّ خلو ذهن المخاطب عن الخبر الذي يلقى إليه يجعله يتأكد من نفسه ويتمكن منها دون الاستعانة بالتوكيد(٨) .

وفيما يأتي بعض النماذج من الآيات القرآنية التي تناولت الخبر الابتدائي في السورة .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٥) .

بين الله تعالى الآيات الكونية ويوضحها ليستدل بها على قدرته تعالى باختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه من غير استحقاق لهما ولا إيجاب فيكون هذا لهم دليل على ان ذلك بإرادة مريد(٩) .

وذهب ابن كثير والسمين الحلبي الى أنَّ الله تعالى يخبر في هذه الآية عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنهُ جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وجعل شعاع القمر نوراً[١٠] .

فالخبر في الآية الكريمة ليس فقط إخبار، إنه تعالى هو الذي جعل وقدر وإنما أراد بيان تعظيم شأن الله تعالى ...، وإظهار صنعته وبيان قدرته عزوجل في أمور الكون، وبذلك تكون الآية قد خرجت من معناها الحقيقي الى المعنى المجازي وهو (التعظيم) .

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الآية ٢٥) .

أراد الله تعالى ان يدعو الى دار التحية لأن أهلها يناولن من الله التحية والسلام، فضلاً عن الملائكة، وقوله ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ عم بالدعوة إظهاراً لحجته، وخصّ بالهداية استغناءً عن خلقه[١١] . والله ﷻ أضاف (دار السلام) الى أسمه تعظيماً لها وترغيباً فيها[١٢] .

وذهب بن عاشور الى ان "الدلالة على المقصود النافع، والمراد بها هنا خلق الاهتداء الى المقصود بقرينه قوله ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ بعد قوله ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو ﴾ المفيد التعميم ...، فالهداية هنا إيجابية أي حصول الاهتداء بالفعل"[١٣] .

نلحظ في هذه الآية الكريمة ان الخبر خرج عن معناه الحقيقي الى المعنى المجازي وهو الحث على السعي وتحريك الهمة ليدعو الناس الى الجنة دار السرور والإقامة ويوصل من شاء هدايته الى الطريق المستقيم .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الآية ٢٦) .

فقوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى ﴾ أي العمل بأنْ فعلوا المأمور به، واجتنبوا المنهي عنه، و﴿ زِيَادَةٌ ﴾ وهي النظر الى وجه الله الكريم جل جلاله، و﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ أي ولا يغشى وجوههم غبار ولا سواد كما يعتري وجوه أهل النار، والمعنى: لا يعرض عليهم ما يعرض لأهل النار . وقيل الغرض إدخال السرور عليهم بذكر حال أعدائهم، فإنَّ

الانسان متى علم أنَّ عدوه في الهوان وسوء الحال ازداد سروراً[١٤] . "والتعبير يوحي بأن في الموقف من الزحام والهول والكرب والخوف والمهانة ما يخلع آثاره على الوجوه، فالنجاة من هذا غنيمة، وفضل من الله يضاف الى الجزاء المزيد فيه"[١٥] .

فهذه الآية الكريمة ضمنت غرضاً مجازياً في الخبر وهو تحريك الهمة، والحث على السعي والجد في أي أمرٍ محمود وزيادة في الحسنى، وهذا ما ذهب إليه أهل البلاغة .

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (الآية ٣٠) .

في الآية الكريمة يخرج الخبر عن معناه الحقيقي الى المعنى المجازي وهو التبكيت، ففيها تأنيب واستنكار شديد للمشركين لافترائهم على الله ﷻ وتقريع على ما كانوا يعبدون من دونه من الأصنام التي لا تغني عنهم شيئاً .

فقد ذهب المفسرون في تفسير الآية الكريمة الى ان الأمور إذا رجعت كلها الى الله ﷻ المتولي جزاءهم في الحكم والعدل، ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وحينها ضاع على المشركين وذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دونه افتراءً عليه[١٦] .

وبعد إخباره تعالى عن حال المشركين تشوقت النفس للاطلاع على حال غيرهم فقال مستأنفاً مخبراً عن كلا الفريقين ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ﴾[١٧] .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الآية ٣٨) .

والمعنى: يقولون افتراه بعد ما تبين لهم من الدلائل على صدقه وبراءته من الافتراء . فأمر الله تعالى نبيه ان يجيبهم عن دعوة الافتراء بتعجيزهم، وان يقطع الاستدلال عليهم، فالأمر بالتعجيز بالتحدث بإتيانهم بسورة تماثل سورة القرآن الكريم، أي تشابهه في البلاغة وحسن النظم لادعائهم بأن هذا القرآن هو من عند رسول الله ﷺ، فالقرآن الكريم مصدق الذي بين يديه من الكتب السماوية وموثق لها . فهذه الآية إلزام بأن يأتوا بسورةٍ مثله ان كان مفترى[١٨].

ونلحظ مما سبق ان الخبر في الآية قد خرج عن معناه الحقيقي الى الانكار ونفي التصور لإمكان ان يكون القرآن الكريم مفترى من دون الله لافترائهم على كلامه ﷻ وإدعائهم ان القرآن الكريم من اختلاق محمد ﷺ، فلا يمكن ان يكون مفترى لأن قدرة واحدة هي التي تملك الاتيان به وهي قدرة الله ﷻ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (الآية ٤٠) .

قال أبو حيان "الظاهر أنه أخبار بأن من كفار قريش من سيؤمن به، وهو من سبقت له السعادة، ومنهم من لا يؤمن به ، فيوافي على الكفر، وقيل: هو تقسيم في الكفار الباقين على كفرهم، فمنهم من يؤمن به باطناً ويعلم أنه حق، ولكنه كذّب عناداً، ومنه من لا يؤمن به لا باطناً ولا ظاهراً ...، أما السرعة تكذيبه وكونه لم يتدبره، وأما لكونه نظر فيه فعارضته الشبهات وليس عنده من الفهم ما يدفعها، وفيه تفريق كلمة الكفار، وإنهم ليسو مستوين في اعتقاداتهم، بل هم مضطربون، وان شملهم التكذيب والكفر، وقيل الضمير في (ومنهم) عائد على أهل الكتاب، والظاهر عوده على من عاد عليه الضمير (أم يقولون)، وحدّهم تهديدّ عظيم لهم" وهنا شملهم التكذيب والكفر، وفي الآية تعلق العلم بالمفسدين، وحدهم تهديد عظيم لهم"[١٩] .

وذهب ابن عاشور الى ان هناك من يؤمن به بصدق بحقيقةٍ من نفسه ولكنه يظهر تكذيبه جمعاً بين اسناد الإيمان إليهم وبين جعلهم بعضاً من الذين يقولون (افتراه) . وجملة ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ معترضة في آخر الكلام على رأي المحققين من علماء المعاني، وهي تعرض بالوعيد والإنذار . وربك أعلم بهم لأنه أعلم بالمفسدين الذين هم من زمرتهم[٢٠] .

فقد خرج الخبر في الآية الى المعنى المجازي وهو التعريض بالوعيد والانذار لمن لا يؤمن بالقرآن الكريم الذي أنزل على الرسول ﷺ والله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيضله .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الآية ٤٧) .

ومعناه: فلكل أمة من الأمم رسول أرسل لهدايتهم، فيقضي بينهم بالعدل يوم القيامة، ولا يعذبون بغير ذنوب[٢١] . وقوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ إما ان يكون إخباراً عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا، فيكون المعنى: أنه بعث الى كل أمةٍ رسولاً يدعوهم الى دين الله، وينبئهم على توحيده، فلما جاءهم بالبينات كذبوه فقضي بينهم، أي بين الرسول وأمته، فأنجى الرسول وعذب المكذبين وإما ان يكون إخباراً عن حالة مستقبلية أي: فإذا جاء رسولهم يوم

القيامة للشهادة عليهم، قضي بينهم أي: بين الأمة بالعدل، فصار قوم الى الجنة وقوم الى النار[٢٢] .

ويذكر البقاعي ان السياق في هذه الآية أجدر بالترهيب، لذلك قال (بالقسط)[٢٣] .

وبين ابن عاشور في تفسيره "ان الله يمهل الأمة على ما هي فيه من الضلال، فإذا أرسل إليها رسولاً فإرساله إمارة على ان الله تعالى أراد إقلاعهم عن الضلال، فانتهى أمد الإمهال بإبلاغ الرسول إليهم مراد الله منهم، فإن أطاعوهُ رضي الله عنهم وربحوا، وإن عصوه وشاقوه قضى الله بين الجميع بجزاء كل قضاء حق لا ظلم فيه"[٢٤] .

والتعقيب المؤكد للحشر والحساب جولة أخرى مع القدرة في بعض مجاليها في السماء والأرض، وفي الحياة والموت جولة عابرة لتوكيد معنى القدرة الكفيلة بتحقيق الوعد ثم نداء عام للناس أجمعين للانتفاع بهذا القرآن الذي يحمل لهم الموعظة والهدى وشفاء الصدور[٢٥] .

فهذا خرج الخبر في الآية القرآنية الى المعنى المجازي وهو الوعد والوعيد أي ان الله تعالى وعد المطيعين بالجنة وتوعد العاصين بالنار، فكل قضاء حق لا ظلم فيه .

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الآية ٥٢) .

ملحق رقم (١) لآيات الخبر الابتدائي

١. ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ الآية (١٤) .

٢. ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الآية (١٨) .

٣. ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ الآية (٤٦) .

٤. ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الآية (٤٩) .

٥. ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية (٤٦) .

المبحث الثاني: الخبر الطلبي

وهو ما يلقى الى مخاطب يتردد في تصديقه وهذا الخبر يحسن في نظر البلاغيين توكيده بمؤكد واحد كي يزيل هذا التردد[٢٦] .

فهو إذن "كل كلام يتوجه فيه المتكلم الى المخاطب ويتصور أنه شاك أو متردد بين قبوله ورفضه لا يعرف مدى صحته، فالمتكلم هنا يحتاج الى استعمال إحدى المؤكدات اللفظية"[٢٧] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ(٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الآيتان ٧–٨) .

يقول تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها فأولئك مأواهم النار جزاءً بما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والاجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر[٢٨] .

نزلت هاتان الآيتان في الكفار، وهي استئناف وعيد للذين لم يؤمنوا بالبعث، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة أي: منتهى غرضهم وقصارى أمالهم إنما هو مقصور على ما يصلون إليه في الدنيا، وقنعوا بها ورفضوا ما سواها، وأهملوا النظر في آيات الله عزوجل وأعرضوا عنها عناداً ومكابرة، أولئك مصيرهم الى النار، فهنا لما كان الغرور أكثر بدأ به تنفيراً عن حاله، ولأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، لذلك قال تعالى مؤكداً إنكارهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... ﴾ الى نهاية الآية[٢٩] .

ففي الآية القرآنية إنكار ووعيد للمشركين الذين لا يتوقعون لقاء الله البتة، ولا يخطر ببالهم، فقد أعمتهم الشهوات عن التصديق بما بعد الممات، ورضوا بالحياة الدنيا عوضاً عن الآخر، فبهذا تكون الآية قد خرجت من المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (الآية ٩) .

هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين بأن الله تعالى سيزيدهم هداية بسبب إيمانهم وتثبيتهم، فيهديهم الى طريق الجنة الى مكان تجري من تحتهم الأنهار، وهم مقيمون في جنات النعيم . فقد أخبر تعالى عنهم بخبرين عظيمين، أحدهما هداية لهم وذلك في الدنيا، والثاني بجريان الأنهار، وذلك في الآخرة(٣٠) .

فالآية الكريمة أفادت الوعد المنتظر من الله ﷻ للمؤمنين بالفوز في الآخرة بجنات النعيم، وهذا من الأغراض المجازية الذي خرج إليه الخبر في الآية .

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الآية ١٠) .

أي دعاء المؤمنين في الجنة سبحانك اللهم وتحية بعضهم بعضاً سلام عليكم كما تحييهم بذلك الملائكة، وآخر دعائهم أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين، وقيل: إذا أرادوا ان يسألوا شيئاً أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح، وختموا بالحمد(٣١) . فهذا طريقهم في تقديس الله وتحميده، أعلم الله تعالى أنهم يبتدئون بتنزيهه وتعظيمه ويختمون بشكره والثناء عليه فدعاؤهم العظيم الثابت الكثير الذي يقولونه فيها لا على وجه التكليف بل يلهمونه الهام النفس في الدنيا(٣٢) .

فالغرض المجازي الذي خرجت إليه الآية الكريمة هو التعظيم أي تعظيم لشأن الله تعالى والدعاء له بالحمد والشكر والتسبيح، فهو المحمود أبداً في الدنيا والآخرة، وفي جميع الأحوال .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الآية ١٢) .

يخبر تعالى عن الانسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر فيكون كثر الدعاء عند ذلك، والمراد بالانسان هنا الكافر، فإذا أصابه الضر من مرض أو فقر دعانا في حالاته جميعها،

مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً لكشف ذلك الضر عنه، فلما أزلنا ما به من الضر استمر على كفره وعصيانه، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه وكأنهما كان به شيء من ذلك، وهو عتاب لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية، وكما زين لنا الدعاء عند البلاء والأعراض عند الرخاء، زينت للمشركين أعمالهم من الكفر والمعاصي(٣٣) .

فقد خرجت الآية القرآنية الى غرض التوبيخ والعتاب الذي يصل الى مرتبة التأنيب للمرء فهو عتاب لمن يدعو الله في الضر فإذا فرج الله تعالى شدته وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه كأنه ما كان به من ذلك شيء .

﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية ١٦) .

أي قل لهم يا محمد لو شاء الله ما أرسلني إليكم ولا تلوتُ عليكم القرآن، ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به على لساني فهو من عنده وليس من عندي(٣٤) .

فهذه مبالغة في التبرئة مما طلبوا منه، أي ان تلاوته بمشيئة الله تعالى وأحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات، وهو ان يخرج رجل أمي لم يتعلم، ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ ببلدةٍ فيها علماء، فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً، يبهر كلام كل فصيح ويعلو على كل منشور منظوم، مشحوناً بعلوم من علوم الأرض والفروع، وأخبار ما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد بلغ بينكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس إليه وألصقتم به(٣٥) .

ففي الآية الكريمة إنكارُ للمشركين على لسان محمد ﷺ بأنهم شاهدوا رسول الله من أول عمره الى ذلك الوقت ثم كفروا بما جاء به، أي القرآن الكريم، وجاءهم بالمعجزات والدلائل وهم يعرفوه بالصدق فبهذا يكون الخبر قد خرج من المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي وهو (الإنكار) .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الآية ١٧).

والمعنى: لا أحد أظلم فمن اختلق على الله الكذب وبدل كلامه وأضاف شيئاً إليه، فقد أنكرتم القرآن الكريم، وافتريتم على الله بأن له شريكاً وان له ولداً وفيما نسبتم إليه من التحليل والتحريم، فالمقصود نفي الكذب عن مقامه الشريف ﷺ حيث زعم المشركون ان هذا القرآن من صنع محمد ﷺ، وقوله: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي فالذي كذب بالحق الذي جاء به الرسول لا يفوز بالسعادة فقد ارتكب الإجرام وكذب الرسل الكرام(٣٦) . فتعمد الكذب والافتراء على الله الذي حاز جميع العظمة، والتكذيب بآياته أعظم من الكذب(٣٧) .

خرجت الآية عن معناها الحقيقي الى الإنكار، وهو غرض مجازي، ففيها إنكار للمشركين على إنكارهم للقرآن الكريم وافترائهم على الله الكذب وادعائهم ان هذا ليس كلام الله تعالى بل من صنع محمد ﷺ .

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الآية ٣٣) .

فالله تعالى أخبر عنهم جزماً قطعاً أنهم لا يؤمنون، فبعد التقرير والتوبيخ كأنه قيل: ما بعد الحق إلا الضلال، فالحق والضلال لا واسطة بينهما، وأنه هالكهم وأنه هو الحق ثم وبخهم على اتباع الضلال بعد وضوح الحق . فهذا إخبار منه تعالى ان في الكفار من حتم الله بكفره، وقضى بتخليده لكفرهم بقضاء الله تعالى وإرادته(٣٨) .

وذكر ابن عاشور "أنه تذييل للتعجيب من استمرارهم على الكفر بعدما ظهر لهم من الحجج والآيات، وتأييس من إيمانهم بإفادة ان انتفاء الايمان عنهم بتقدير من الله تعالى عليهم، فقد ظهر وقوع ما قدره من كلمته في الأزل"(٣٩) .

فالغرض من الخبر هنا هو توبيخ المشركين وتقريعهم على استمرارهم بالكفر، وخروجهم عن طاعة الله، وعلى الرغم مما نزل عليهم من الآيات والبراهين، فإنهم لا يؤمنون ولا يصدقون بوحدانية الله ورسالة نبيه، وبذلك يكون الخبر قد خرج من معناه الحقيقي الى المعنى المجازي .

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٦٨) .

نزلت الآية إنكاراً على اليهود والنصارى فقد نسبوا الى الله الولد، فقالوا عُزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قل كفار مكة الملائكة بنات الله فتنزه الله وتقدس عما نسبوا إليه فإنه المستغني عن الخلق جميعهم، فإنّ اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه، والله تعالى غير محتا الى شيء، فالجميع خلقه وملكه . وما عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب أتفترون على الله وتكذبون بنسبة الشريك والولد ؟ فهو توبيخ وتقريع على جهلهم وفيها إنكار ووعيد أكيد وتهديد شديد[٤٠] .

فهذه الآية إنكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم، ويحتج بذلك من أبطال التقليد في أحوال الدين، واستدل بها نفاة القياس، وأخبار الأحاد، ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين، فدل على ان كل قول لا برهان عليه قائله، فلذلك جهل وليس يعلم[٤١] .

وذكر البقاعي أنه تعالى لما بين بالبرهان القاطع والدليل الباهر الساطع امتناع ان يكون له ولد بكتهم بنفي ان يكون لهم بذلك نوع حجة بقوله "إن عندكم" أي "ما عندكم"، وسميت الحجة سلطاناً لاعتلاء يد المتمسك بها ثم زادهم بها تبكيتاً بالإنكار عليهم بقوله: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي على سبيل التكرار[٤٢] .

فبذلك تكون الآية قد اشتملت على عديد من الأغراض المجازية وهي التوبيخ والتقريع والإنكار والتبكيت للمشركين، فقد نسبوا لله الولد وهو سبحانه له ما في السماوات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً .

ملحق رقم (٢) لآيات الخبر الطلبي

١. ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾(الآية ٣).

٢. ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ (الآية ٤) .

٣. ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (الآية ١١) .

٤. ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (الآية ٢١) .

٥. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الآية ٤٤) .

٦. ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (الآية ٦٩) .

٧. ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الآية ٧٦) .

٨. ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ (الآية ٨٨) .

٩. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الآية ٩٦) .

المبحث الثالث: الخبر الإنكاري

"هو كل خبر يعلم به المخاطب على نحو ما ولكنه يذكره إنكاراً يحتاج الى توكيد بأكثر من مؤكد، فالمطلوب وجوب التأكيد لأجل إنكار المخاطب للخبر فكلما زاد الشك والانكار، زاد التوكيد في صياغة الخبر"[٤٣] .

فهو اذن "ما يوجه الى مخاطب يذكره صراحة، ومن ثم يصبح من اللازم توكيده بحيث تزيد المؤكدات في الخبر بزيادة درجة الانكار لدى المخاطب"[٤٤] .

﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ (الآية ٢) .

ان الكفار وصفوا القرآن بكونه سحراً، فهذا بدل يدل على عظم محلة عندهم وهو دليل عجزهم واعترافهم به، فبعد تعذرهم عن الآتيان بمثله احتاجوا الى هذا الكلام[٤٥] .

فقد تضمنت الآية الأخبار بما لا يعرف من البعث وغيره، ومع ان في ذلك ادعاءهم أمراً متناقضاً، هو أنه من قول البشر كما هي العادة في السحر، وأنهم عاجزون عنه، لأن السحر فعل تخفى فيه الحيلة حتى يتوهم الاعجاز به، فقد اعترفوا بالعجز عنه، وكذبوا في ادعاء أنه لسحر، لأن الآتي به منهم لم يفارقهم قط . فهم يعلمون ان قولهم في غاية الفساد، فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم بأنه من عنده من غير شبهة[٤٦] .

فقد خرجت الآية من معناها الحقيقي الى المعنى المجازي وهو الضعف والعجز عن الاتيان بمثل هذا الكتاب فوصفوه بالسحر .

﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (الآية ٦) .

في الآية استدلال على تفرد الله تعالى بالخلق والتقدير، وهو استدلال بأحوال الضوء والظلمة، وتعاقب الليل والنهار، وكون أحدهما يخلف الآخر، وما خلق الله في السماوات من الإجرام النيرة التي فيها، والملائكة المقيمين بها، وما على الأرض من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان، ففي ذلك عبرة عظيمة وتأكيد هذا الاستدلال بحرف (إنّ) لأجل تنزيل المخاطبين به الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل الى التوحيد منزلة من ينكر ان في ذلك آيات على الوحدانية بعدم جريهم على موجب العلم، ففيها براهين على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون الله ويخافون عذابه(٤٧) .

نلحظ في الآية الكريمة أخبار عن قدرة الله تعالى وعظمته، فهذا أسلوب بلاغي خرج فيه الخبر الى معنى مجازي وهو التعظيم .

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الآية ١٣) .

في هذه الآية وعيد لأهل مكة على تكذيبهم رسول الله ﷺ فقد أخبر الله تعالى عمال حل بالقرون الماضية في تكذيبهم للرسل فيما جاءهم به من البينات والحجج الواضحة، وفي الآية أيضاً تهديد وموعظة بما حل بأمثالهم، ولتوكيد التهديد والوعيد أكدت الجملة بلام القسم وقد فجاءت إنذاراً لقريش بأن ينالهم ما نال أولئك المجرمين والمراد بالإجرام هنا الشرك(٤٨) .

هنا خطاب وإخبار لمعاصري الرسول ﷺ بإهلاك من سلف قبلهم من الأمم بسبب ظلمهم فجاء قوله مهدداً لهم رادعاً عما هم فيه من اتباع الزينة لأنهم ينكرون ان هلاكهم لأجل ظلمهم فبذلك تكون الآية قد خرجت من المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي وهو التهديد والوعيد.

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الآية ٣٦) .

تضمنت الآية التهديد والوعيد للمشركين لإتباعهم الظن وتقليد الآباء وإعراضهم عن البرهان فما يتبع المشركين في اعتقادهم ان الأصنام تقربهم الى الله اعتقاد غير مستند لدليل أو برهان بل مجرد أوهام باطلة وخرافات فاسدة، ومثل هذا الاعتقاد المبني على الأوهام والخيالات ظن كاذب لا يغني من اليقين شيئاً، فليس الظن كاليقين والله تعالى عالم بما هم عليه من الكفر والتكذيب وأنه ﷻ أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء(٤٩) .

فمن ذلك نلحظ أن الآية القرآنية خرجت الى المعنى المجازي وهو التهديد والوعيد للمشركين على اتباعهم الظن وأعراضهم على الحق .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (الآية ٤٥) .

يقول تعالى مخبراً عن المحشورين على جهة التوبيخ لأنفسهم ومذكراً الناس بقيام الساعة وحشرهم من أحداثهم الى عرضات القيامة، وأنه تعالى لما وصف الكفار بقلة الإصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد، فذكر أنه يجمع هؤلاء المشركين للحساب كأنهم ما أقاموا في الدنيا ساعة من النهار لهول ما يرون من الأهوال ويعرف بعضهم بعضاً كما كانوا في الدنيا وهو تعارف توبيخ وافتضاح(٥٠).

وذكر ابن عاشور ان في الآية الكريمة تقريع فإنه لما جاء فيما مضى ذكر يوم الحشر إذ هو حين افتضاح ضلال المشركين ببراءة شركائهم منهم اتبع ذلك بالتقريع عن عبادتهم الأصنام مع وضوح براهين الوحدانية لله تعالى(٥١) .

ومما سبق نلحظ ان الآية القرآنية الكريمة خرج فيها الخبر من معناه الحقيقي الى عديد من المعاني المجازية، وهي التوبيخ والتقريع والوعيد، فالله تعالى يذكر الناس بقيام الساعة والحشر ووقوفهم للحساب على جهة التوبيخ للمحشورين .

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الآية ٥٣) .

ويستنبئونك أي يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة، أحق ما وعدتنا به من العذاب والبعث، فقل لهم نعم والله إنه كائن لا شك فيه وما أنتم فائتين عن عذابه ومجازاته، وليس هناك هروب أو امتناع من العذاب بل أنتم في قبضته وسلطانه(٥٢) .

فالآية القرآنية ذكرت على جهة الاستهزاء والانكار وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض والضمير (هو) قيل: عائد الى العذاب، وقيل الشرع والقرآن، وقيل: الوعيد، وقيل على أمر الساعة(٥٣) .

فبذلك تكون الآية الكريمة قد خرجت من المعنى الحقيقي الى الوعيد والانكار والاستهزاء بالمشركين فهم لا يؤمنون بالبعث والعذاب .

ملحق رقم (٣) لآيات الخبر الانكاري

١. ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الآية ٢٢) .

٢. ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (الآية ٣٤) .

٣. ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الآية ٢٧) .

٤. ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٥٥) .

٥. ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (الآية ٦٠) .

٦. ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الآية ٦٢) .

٧. ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الآية ٦٦) .

٨. ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٦٧) .

٩. ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الآية ٨١) .

١٠. ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الآية ٨٣) .

١١. ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (الآية ٩٣) .

١٢. ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (الآية ٩٤) .

خاتمة البحث ونتائجه:

بعد الانتهاء من الدراسة البلاغية في سورة يونس توصل البحث الى جملة من النتائج هي:

- ان معظم الآيات القرآنية في هذه السورة خرجت عن معناها الحقيقي الى المعاني المجازية إذ ان السورة نزلت بحق المشركين وتوبيخهم والاستهزاء بهم على موقفهم المعادي لرسول الله ﷺ وما جاء به أي القرآن الكريم .
- ان أكثر الأغراض المجازية التي تكررت في السورة غرضي التوبيخ والانكار، فقد أكدت عديد من الآيات بمؤكدات للخبر أي ان الضرب الطلبي والانكاري جاء أكثر من الضرب الابتدائي لأن الخطاب كان موجهاً فيها للمشركين المترددين الشاكين أو المنكرين للإخبار التي وردت في هذه السورة .

- لاحظنا في أغلب الآيات تداخل الأغراض المجازية فلا يخرج الخبر في الآية الى غرض واحد بل يتعداه الى غرضين أو أكثر .

المصادر والمراجع:

١. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ت ٧٣٤هـ)، شرح وتعليق: د. عبد المنعم الخفاجي، ط١، منشورات دار الكتاب اللبناني، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م .

٢. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد، المسمى اختصاراً (التحرير والتنوير): محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت) .

٣. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد النوتي ود. أحمد النجولي الجمل، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

٤. تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط٤، مكتبة القاهرة- مصر، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م .

٥. تفسير القرآن العظيم: أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط١، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

٦. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عغمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت ٦٠٤هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت) .

٧. الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي: أبو عبد الله بن أحمد الأنصار القرطبي (ت ٦٧١هـ)، خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عبادي بن عبد الحليم، ط١، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، القاهرة، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م .

٨. جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية): د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م .

٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري (ت ١٩٤٣م)، ط١٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

١٠. الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون: الامام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن أحمد بن ابراهيم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق وتعليق الشيخ: علي محمد معوض والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود ود. جاد مخلوق جاد ود. زكريا عبد المجيد الذوتي، قدم له وقرظه: د. أحمد محمد حيرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م .

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

١٢. الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها: ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، طبعة المؤيد، مصر، ١٩١٠م .

١٣. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ط٩، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت) .

١٤. علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم د. حسن طبل، ط٢، مكتبة الايمان بالمنصورة، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

١٥. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٣٤، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

١٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨هـ=١٩٦٦م .

١٧. لسان العرب: للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م .

١٨. المبسط في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) محمد طاهر اللادقي، مراجعة: ابراهيم محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

١٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

٢٠. مختصر تفسير ابن كثير: الامام الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ط١، طبعة جديدة مشتملة على تعليمات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اختصره: أحمد بن شعبان بن أحمد، ومحمود بن عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

٢١. المنتهى في تهذيب تفسير ابن كثير: ابراهيم خليل المشهداني، مكتبة النهضة، عبد الرحمن حسن حياوي، ١٩٩٤م .

٢٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للامام برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

٢٣. نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) تحقيق وتقديم الدكتور: ابراهيم السامرائي، والدكتور: محمد بركات حميدي أبو علي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م .

هوامش البحث:

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤/٢٢٦–٢٢٧ .

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس: ١٧٩ .

(٣) نهاية الايحاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي: ٧١ .

(٤) ينظر: الايضاح، القزويني: ١/١٣ ؛ جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٥٣ ؛ المبسط في علوم البلاغة، محمد طاهر اللادقي: ٢٨ .

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ١/٥٧٢ ؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٦/٧٧ .

(٦) ينظر: روح المعاني، الآلوسي: ١١/٧٩ ؛ صفوة التفاسير: ١/٥٧١ .

(٧) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء، حسين جمعة: ٦٩ .

(٨) ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل: ٥٥ .

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٧/٢٣٣ .

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢/٣٨٧ ؛ الدرر المصون، السمين الحلبي: ٤/٨.

(١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/٢٤٦ .

(١٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي: ٣/٤٣٤ .

(١٣) التحرير والتنوير: ١٠/١٤٥ .

(١٤) ينظر: روح المعاني: ١١/١٣٨ ؛ صفوة التفاسير: ١/٥٨١ .

(١٥) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٣/١٧٧٩ .

(١٦) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٢/٣٤٧ ؛ الجامع لأحكام القرآن: ٧/٣٩٨ ؛ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٥/١٥٩ .

(١٧) ينظر: نظم الدرر: ٤٣٨/٣ .

(١٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٨/٧ ؛ التحرير والتنوير: ١٧٠/١٠ .

(١٩) البحر المحيط: ١٦١/٥ .

(٢٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٥/١٠ .

(٢١) ينظر: الكشاف: ٢١١/٢ .

(٢٢) ينظر: البحر المحيط: ١٦٤/٥ .

(٢٣) ينظر: نظم الدرر: ٤٥٠/٣ .

(٢٤) التحرير والتنوير: ١٨٨/١٠ .

(٢٥) ينظر: في ظلال القرآن: ١٧٩٨/٣ .

(٢٦) علم المعاني في الموروث البلاغي: ٥٥ .

(٢٧) جمالية الخبر والانشاء: ٧٠ .

(٢٨) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٧٢/٢ .

(٢٩) ينظر: نظم الدرر: ٤١٨/٣ ؛ التحرير والتنوير: ٩٩/١٠-١٠٠ .

(٣٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٤/٧ ؛ البحر المحيط: ١٣١/٥ ؛ مختصر تفسير ابن كثير: ٧٢/٢ .

(٣١) ينظر: الكشاف: ٢٢٧/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٤/٧ .

(٣٢) ينظر: البحر المحيط: ١٣٢/٥ ؛ نظم الدرر: ٤٣٠/٣ .

(٣٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/٧-٢٣٨ ؛ مختصر تفسير ابن كثير: ٧٣/٢ .

(٣٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٧ ؛ نظم الدرر: ٤٢٦/٣ .

(٣٥) ينظر: الكشاف: ٢٢٩/٢ ؛ البحر المحيط: ١٣٧/٥ .

(٣٦) ينظر: البحر المحيط: ١٣٨/٥ ؛ صفوة التفاسير: ٥٧٧/١ .

(٣٧) ينظر: نظم الدرر: ٤٢٦/٣ .

(٣٨) ينظر: التفسير الكبير: ٧١/١٧ ؛ البحر المحيط: ١٥٦/٥ .

(٣٩) التحرير والتنوير: ١٥٩/١٠ .

(٤٠) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٨٥/٢ ؛ صفوة التفاسير: ٥٩٠/١٠-٥٩١ .

(٤١) ينظر: البحر المحيط: ١٧٥/٥ .

(٤٢) ينظر: نظم الدرر: ٤٦٤/٣ .

(٤٣) جمالية الخبر والانشاء: ٧٠ .

(٤٤) علم المعاني في الموروث البلاغي: ٥٥ .

(٤٥) ينظر: الكشاف: ٢٢٤/٢ ؛ التفسير الكبير: ٧/١٧ .

(٤٦) ينظر: نظم الدرر: ٣،٤١٤ .

(٤٧) ينظر: البحر المحيط: ١٣١/٥ ؛ التحرير والتنوير: ٩٧/١٠ .

(٤٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٩١/٢، تفسير المنار: ٣١٦/١١ ؛ التحرير والتنوير: ١١٣/١٠-١١٤.

(٤٩) ينظر: الكشاف، ٢٣٧/٢ ؛ البحر المحيط، ١٥٨/٥ ؛ تفسير القرآن العظيم، ٣٩٩/٢ .

(٥٠) ينظر: المحرر الوجيز، ١٢٢/٢ ؛ التفسير الكبير، ٨٤/١٧ ؛ تفسير القرآن العظيم، ٤٠١/٢ ؛ نظم الدرر، ٤٤٨/٣.

(٥١) التحرير والتنوير، ١٨١/١٠.

(٥٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٧ ؛ صفوة التفاسير: ٥٨٧/١ المنتهى في تهذيب تفسير ابن كثير: ابراهيم خليل المشهداني: ٢٨٩/٢.

(٥٣) ينظر: الكشاف: ٢٤١/٢ ؛ المحرر الوجيز: ١٢٥/٣ ؛ البحر المحيط: ١٦٦/٥-١٦٧.